الحداثة LA modernite

تمهيد:

استقطب مفهوم الحداثة اهتمام الأدباء و الفلاسفة و علماء الاجتماع منذ ظهوره في عصر النهضة حتى اليوم، ويطلق عموما على مسيرة المجتمعات الغربية منذ عصر النهضة إلى اليوم، ويشمل مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية من تقدم في العلوم والتقنيات وثورة التكنولوجيا واكتساحها الحياة الاجتماعية، مما أدى إلى تراجع المعايير والقيم الثقافية التقليدية وبذلك كانت الحداثة ممارسة اجتماعية ونمط حياة يقوم على أساسي التغير و الابتكار. (علي وطفة، 20016، ص 95)

تعريف الحداثة:

في اللغة: حدث الشيء يحدث حدوث وحداثة وأحدثه هو، فهو محدث وحديث والحديث في اللغة نقيض القديم ويرادف الجديد.

أما في اللغة الفرنسية فإن صفة حديث moderne أقدم تاريخا من لفظ حداثةmodernus وكلمة Moderne تقابلها في اللاتينية Modernus، واستخدم هذا المصطلح بصورته اللاتينية لأول مرة في أواخر القرن الخامس، لتمييز الحاضر الذي أصبح مسيحيا على المستوى الرسمي عن الماضي الروماني الوثني، و يعبر مصطلح Modern عن الانتقال من القديم إلى الجديد.

إن اختلاف وتباين المفكرين والفلاسفة في تعريف هذا المفهوم يجعل من الصعب الوصول إلى تعريف دقيق فهو مفهوم غامض.

الحداثة كما عرفها علم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي جان بودريلار أنها: " ليست مفهوما سوسيولوجيا ولا مفهوما سياسيا وليست كذلك مفهوما تاريخيا بل نمط حضاري(....) عكس عالم التقاليد"

أما سوزانت جو ناتيليك بأنها " رأي عنصري المركز نشأ عن حقبة معنية من التاريخ ومن إقليم جغرافي معين.

خصائص الحداثة: من خلال التعاريف المختلفة لمفهوم الحداثة يمكن استخلاص مايلي:

- الطابع الشمولي الكلي للحداثة كنمط حضاري تتجسد فيه مختلف صور التقدم في شتى المجالات و انتقال الفكر من حال لحال أدى إلى إحداث ثورات متتالية أدت إلى تغيير جذري طال كل أنماط الحياة.
- الحداثة تقابل التقليد و تتعارض معه وبالتالي إحداث قطيعة جذرية مع كل ما هو تراث وتقليد.
- ترتبط الحداثة بالتاريخ الأوربي في نشأتها وتطورها فهي مصطلح غربي خاص، فهي خط حضاري مرتبط بما وصلت إليه المجتمعات الغربية الأوربية من تطورات متعاقبة والوعي الذي صاحبها. حتى يعتبر البعض أن أوربا الغربية هي مسقط رأس الحداثة الأوربية التي أخذت تتسع وتنتشر وتأخذ بعدا كونيا وبالتالي صورة حداثة مرجعية.

- الطابع النقدي للحداثة فهي عملية تجاوز وانفصام دائم وهي تجربة لا تكتمل ومشروع دوما قيد التأسيس.(سعد بوترعة ، 2044 ، ص 394، 397)
- الاضطراب والتناقض في المصطلح وترجمته.
- الغموض في الألفاظ والمعاني واستخدام الألفاظ الطنانة التي لا تحمل معها شيئا حين تدبرها و الضبابية والحيرة والقلق والحمى.
- الانقطاع عن الماضي والتراث ومحاربته.
- محاربة التصور الإيماني وقواعد التوحيد.
- الصراع مع المعتقدات القديمة كلها والمعارف كلها
- كسر الشرائع (عدنان علي رضا، 1992، ص 42)
- مرحلة تبلغها المجمعات الإنسانية عن طريق التراكم التاريخي والخروج من الوصاية التاريخية التي فرضت على العقل في عصور الظلام.
- الحرية الإنسانية في مختلف ميادين المجتمع انطلاقا من حقوق الإنسان وتعزيزا للقيمة الديمقراطية.
- العقلانية حيث يتجلى العقل بسيادته و هيمنته في مختلف المجالات.
- تعتمد الحداثة على ركيزتين أساسيين كما يرى تورين هم العقلانية والانفجار المعرفي. (علي أسعد وطفة، 2007، ص 107،104)

الجذور التاريخية لمفهوم الحداثة: يختلف العلماء في تحديد المرحلة التاريخية التي بدأت فيها الحداثة، ويرى المؤرخون أن العصر الحديث بدأ مع اكتشاف أمريكا من قبل كريستوف كولمبس عام 1492، ويرى المفكرون أنه يبدأ مع الأحداث التاريخية الكبرى مثل اكتشاف جاليليو لمركزية الشمس وسقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين 1453.

هذا بالنسبة للعصر الحديث أما مفهوم الحداثة يتجلى في حركة الصلاح الديني في أوربا بقيادة مارتن لوثر 1517، وبعد ذلك بدأ يأخذ المفهوم أبعاده الفلسفية والسياسية في القرنين 17 و18، حيث تتمثل خصائصه في ولادة التفكير الفردي والعقلاني الذي أرسى مقوماته ديكارت و من ثم فلاسفة التنوير.

يرتبط عصر الحداثة باختراع الحداد الألماني جوتنبرغ آلة الطباعة في منتصف القرن 15، مما شكل اختراع الطباعة المرحلة التي نقلت فيها الإنسانية من حضارة المشافهة إلى الحضارة الكتابة وبالتالي تدوين التراكم العلمي وجعله في خدمة الثورات العلمية المتعاقبة.

كما تجدر الإشارة في هذا السياق إلى الفيلسوف الفرنسي رينه ديكارت باعتباره أب الحداثة، خاصة في مجال التفكير الفلسفي واكتشاف المنهج العقلي الذي بدد ظلام العصور الوسطى وحرر العقل من عبودية المعتقدات القدسية، وفي عصر الأنوار تضاعف وميض الحداثة وبريقها لاسيما نظريات كانط وأعماله الفكرية حيث أكد شرط التنوير والحداثة هو الحرية خاصة التي تنقل بحرية العقل والتفكير، وفي عصر الأنوار و ما يليه ازدهرت العلوم والفيزياء والتكنولوجيا وبدأت الفنون تأخذ ظلالها الإبداعية في أوربا.

أكدت الثورة الفرنسية 1789 حضور الدولة البرجوازية والقيم الليبرالية والديمقراطية وبدأ التقدم المستمر للعلوم والتقنيات وتطور واسع لوسائل الاتصال والمعلوماتية، هذه العوامل سجلت انطباعاتها في مفهوم الحداثة وبدت على أنها ممارسة الجماعية ونمط حياة يقوم على التغييروالابتكار وعلى القلق و اللاإستقرار والحركة الدائمة والأزمة.

استطاعت الانجازات الحضارية وتطور العلوم والتقنيات والتطور العقلاني والمنظم لأدوات الإنتاج أن ترسم حدود الحداثة، هذه الأخيرة التي أدت إلى تكثيف العمل الإنساني وهيمنته على الطبيعة، وتلك هي خاصية أغلب المجمعات الحداثية التي أدت إلى تغيير عميق وشامل في الحياة والفكر ما أدى إلى انتقال الحضارة من حضارة عمل و تقدم إلى حضارة استهلاك وفراغ. (علي وطفة، 2001، ص103، 104)

نقدالحداثة: قدموا علماء الاجتماع ايجابيات وسلبيات الحداثة لكن غلبوا الجانب الايجابي عن السلبي.

- لم تستطع الحداثة بنزعتها العقلانية ومغامراتها العلمية أن تحقق الغايات التي كانت أصل وجودها.

- أعلن جان جاك روسو عن مسالب الحداثة ومخاطر العقلانية الصارمة التي سلبت المشاعر السامية للإنسان، وأكد أن الحضارة المادية العقلانية تؤدي إلى تراجع الأخلاق والقيم الإنسانية و تؤدي إلى الاستلاب والاغتراب.

- أنتقدت الحداثة على مدى القرون الماضية من قبل مفكرين كبار أمثال ماركس ونيتشه وفرويد واستطاعوا تفنيد جميع أسسها التي قامت عليها، ومن هذه الانتقادات العلاقة بين الجانب الذاتي (العاطفة والأحاسيس) والعقلانية.

- فقدت الحداثة قدرتها على تحرير الإنسان بعد أن أدت دورها التاريخي.

- وضع الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا ليوتار الحداثة في قفص الاتهام وهو من أعلن نهايتها ومعلنا ميلاد عصر ما بعد الحداثة في كتابه الوضع ما بعد الحداثي 1979، ويعلن بذلك سقوط النظريات والايديولوجيات الكبرى وفشلها في قراءة الواقع وتفسيره.(علي وطفة، 2001، ص108، 110)